

الفصل الثانى :

وسئل عن النفخ ؟

فقال رحمه الله : النفخ : عبارة عما اشتعل به نور الروح فى فتيلة النطفة . وللنفخ صورة ونتيجة . أما صورته : فأخراج الهواء من جوف النافخ فى جوف المنفوخ فيه ، حتى يشتعل الحطب القابل للنار .

فالنفخ سبب للاشتعال ، وصورة النفخ الذى هو سبب فى حق الله - تعالى - محال ، والمسبب غير محال . وقد يكتفى بالسبب عن الفعل الذى يحصل المسبب على سبيل المجاز ، وإن لم يكن الفعل المستعار له على صورة الفعل المستعار منه . كقوله - تعالى - : ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٢) . وكقوله : ﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ^(٣) .

والغضب : عبارة عن نوع تغيير فى الغضبان ، يتأذى به ، ونتيجته إهلاك المغضوب عليه بالغضب . فعبر عن نتيجة

(٢) من الآية : ١٤ من سورة المجادلة ، ومن الآية : ١٣ من سورة الممتحنة .

(٣) من الآية : ١٣٦ من سورة الأعراف ، ومن الآية : ٧٩ من سورة الحجر ، ومن الآية :

٢٥ من سورة الزخرف .

الغضب بالغضب ، وعن نتيجة الانتقام بالانتقام . فكذلك
عبر عن نتيجة النفخ بالنفخ ، وإن لم يكن على صورة النفخ .
فقليل له : فما السبب الذى به اشتعل نور الروح فى فتيلة
النطفة ؟

فقال : هو صفة فى الفاعل ، وصفة فى القابل ، أما صفة
الفاعل ، فالجود الإلهى الذى هو ينبوع الوجود ، وهو فياض
بذاته على كل ماله قبول الوجود حقيقة وجودها على كل
حقيقة . ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة . ومثالها : فيضان نور
الشمس ، على كل قابل للاستنارة ، وهى المتلونات ، دون
الهواء الذى لا لون له .

وأما صفة القابل ، فلاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية
كما قال : « سَوَّيْتُهُ » .. ومثال صفة القابل : صقالة الحديد .
فإن المرأة التى ستر الصداً وجهها لاتقبل الصورة ، وإن
كانت محاذية للصورة .

وإذا اشتغل الصيقل بتصقيليها ، فكما حصلت الصقالة
حدثت فيها الصورة من ذى الصورة المحاذية لها .

فكذلك إذا حصل الاستواء فى النطفة حدث فيها الروح
من خالق الروح ، من غير تغير فى الخالق . بل إنما حدث
الروح الآن لاقبله لتغير المحل ؛ لحصول الاستواء الآن لا
قبله .

كما أن الصورة فاضت من ذى الصورة على المرأة في حكم الوهم ، من غير تغير حدث في الصورة ، ولكن كان لا يحصل من قبل ، لا لأن الصورة غير مهيأة لأن ينطبع في المرأة ، لكن لأن المرأة لم تكن صقيلة قابلة .

فقليل : فما الفيض ؟

فقال رحمه الله : لا ينبغي أن تفهم من الفيض ماتفهم من فيضان الماء من الإناء على اليد . فإن ذلك عبارة عن انفصال جزء مما في الإناء ، واتصاله باليد . بل افهم منه ماتفهمه من فيضان نور الشمس على الحائط . لقد غلط قوم في نور الشمس أيضاً ؛ فظنوا أنه انفصل شعاع من جرم الشمس ، ويتصل بالحائط ، ويسقط عليه وهو خطأ . بل إن نور الشمس سبب لحدوث شيء يناسبه في النورية ، وإن كان النور أضعف منه في الحائط المتلون ، كفيضان الصورة على المرأة من ذى الصورة ، لا بمعنى انفصال جزء من صورة الإنسان ، بل صورة الإنسان سبب لحدوث صورة تماثلها في المرأة القابلة لمحاذاة الصورة . وليس فيه انفصال واتصال إلا السببية المجردة ، فكذلك الجود الإلهي ، سبب لحدوث أنوار الوجود في كل ماهية قابلة للوجود ، فيعبر عنه بالفيض ..